

التواجد العثماني بالجزائر 1518-1830 بين أطروحة الفتح وفكرة

الاستعمار

**The Ottoman presence in Algeria 1518-1830 between the thesis of conquest and the idea of colonialism**

عبد المالك زغبة

z\_fateh@yahoo.fr

جامعة المسيلة

تاريخ القبول: 2011/10/22

تاريخ الاستلام: 2011/08/19

**Abstract:**

The Ottoman period in Algeria, extending over a historical path of more than 30 centuries, is considered one of the most controversial historical stages and differences between the opinion supporting the conquest thesis and the position supporting the idea of colonialism due to the intersection of the religious dimension with the geo-strategic importance and the struggle of the Turks with the Europeans over the southern bank of the Mediterranean.

**Keywords** The Ottoman presence - the conquest thesis - the idea of colonialism-Algeria- 1830

**ملخص:**

تعتبر الفترة العثمانية بالجزائر الممتدة على مسار تاريخي يزيد عن 03 قرون من أكثر المراحل التاريخية جدلا واختلافا بين الرأي المؤيد لأطروحة الفتح والموقف الداعم لفكرة الاستعمار بسبب تقاطع البعد الديني مع الأهمية الجيو- إستراتيجية وصراع الأتراك مع الأوروبيين حول الضفة الجنوبية للمتوسط

الكلمات المفتاحية: التواجد العثماني- أطروحة الفتح – فكرة الاستعمار-الجزائر- 1830

\*المؤلف المرسل

#### مقدمة:

تعتبر الفترة العثمانية بالجزائر الممتدة على مسار تاريخي يزيد عن 03 قرون من أكثر المراحل التاريخية جدلا واختلافا بين الرأي المؤيد لأطروحة الفتح والموقف الداعم لفكرة الاستعمار بسبب تقاطع البعد الديني مع الأهمية الجيو- إستراتيجية و صراع الأتراك مع الأوروبيين حول الضفة الجنوبية للمتوسط حيث يعتبر الأستاذ ناصر الدين سعيدوني في كتابه "دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر – العهد العثماني-:" أنها فترة عاشت أثناءها الجزائر مرحلة حاسمة، تمثلت بالخصوص في مواجهة اعتداءات الدول الأوروبية، على رأسها إسبانيا وفرنسا وانكلترا، التي تكالبت أساطيلها وجيوشها على استغلال خيرات الجزائر والتحكم في مقدراتها لصالح أوروبا وما تحمله من روح صليبية.

إن الاختلاف الجوهرى بين المدرسة التاريخية الجزائرية و المدرسة الفرنسية حول 312 سنة من التواجد العثماني في الجزائر جعلت معظم الدراسات التاريخية تركز على مناهضة أو دعم المشروع الاستعماري الأوروبي ونظرية الصراع بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي، غير أن المشكلة الجانبية تتمثل في وجود أطروحتين داخل المدرسة التاريخية الجزائرية نفسها بين مؤيد ورافض لفكرة الفتح العثماني للجزائر والقائل بفكرة الاستعمار ولكل حججه، فما هو الرأي الأقرب للحقيقة التاريخية ؟ وما هي الطبيعة الصحيحة للتواجد العثماني بالجزائر؟ وبماذا تميز موقف الدولة العثمانية من الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830 ؟

1/ طبيعة التواجد العثماني في الجزائر:

أولا / أنصار فكرة الفتح العثماني للجزائر:

في سياق رفض المقاربة التاريخية التي تتحدث عن فكرة "الاستعمار العثماني في الجزائر" يؤكد المؤرخ سليمان البستاني في كتابه "الدولة العثمانية قبل الدستور وبعد الدستور" على مفهوم "الفتح الإسلامي" استجابة لدعوة الاستنجد التي أطلقها سكان مدينة الجزائر بعد الغزو الإسباني التي حولها إلى دار الكفر، وبعد تحريرها من قبل الأخوة فخارجي أصحاب اللحي الحمراء (BARBAROSA) عادت الجزائر إلى دار الإسلام بعد ضمها إلى الخلافة العثمانية حامية الإسلام والمسلمين عام 1518 وتولي الرئيس خضر المكني خير الدين منصب أمير الأمراء (البايرلبياي). وحسب رضا عمراني المكلف بالدراسات التاريخية بمؤسسة "القصبة"، فإن قبول الجزائريين بالأتراك يدخل في سياق تاريخي ونفسي، يبرز من خلال رفض الجزائريين لكل المحاولات الصليبية التي كانت تسعى لبسط نفوذها وسيطرتها على الضفة الجنوبية للمتوسط، ومن الآثار الإيجابية للوجود التركي في الجزائر التأسيس لنواة الدولة الجزائرية الحديثة بمعالمها الجغرافية الحالية ونشوء علاقة المصاهرة بين الأسر العربية والتركية من نواتجها الكراغلة وهم نتاج زواج بين العثمانيين والجزائريين كمكون اجتماعي جديد يضاف إلى مكونات الأمة الجزائرية إلى جانب العرب والأمازيغ<sup>1</sup>.

---

<sup>1</sup> - ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر - العهد العثماني - ، (الجزائر: المؤسسة

الوطنية للكتاب ، 1984)، ص 29

بينما يعتقد أستاذ التاريخ العثماني بجامعة الجزائر، شكيب بن حفري : "إنه لا يمكن وصف الوجود العثماني في الجزائر بالاستعمار، مثلما يريد أن يروج له بعض المتأثرين بالكتابات التاريخية الفرنسية والإسبانية التي أرادت تشويه العثمانيين وتقديمهم في صورة تجسد الاستبداد الشرقي، لتبرير التنصير بالنسبة للأسبان، والغزو بالنسبة للفرنسيين واعتبر الأستاذ شكيب بن حفري أن صفة الاستعمار تسقط بمجرد تقديم عدد من الحقائق التاريخية، منها أن الأتراك تركوا لعشائر وقبائل الجزائر حرية الحفاظ على عاداتهم وتقاليدهم، آخذين بعين الاعتبار قضية العصبية"<sup>2</sup>

بينما يضيف الأستاذ بلقاسم بابابسي قائلا: "أعتقد أننا نبتعد كثيرا عن الحقيقة التاريخية لما نعتبر العثمانيين بمثابة استعمار، فهم من رسم لنا حدودنا الحالية، ووقفوا ضد محاولات الدولة المرينية في الغرب للاستيلاء على أجزاء من الجزائر إلى غاية تلمسان، كما وقفوا ضد حملات الدولة الحفصية في الشرق لبسط نفوذها على حساب الجزائر إلى غاية قسنطينة."<sup>3</sup>

في حين يرى الأستاذ ناصر الدين سعيدوني أن أغلب الدراسات التاريخية المتعلقة بالجزائر العثمانية، والتي تمت على يد كتاب فرنسيين، تعتبر دراسات مغرضة، فهي تهدف إلى خدمة الاستعمار وتبرير الوجود الفرنسي بالجزائر، وذلك بتغيير

---

<sup>2</sup> - رضا عمراني، «الأتراك لم يستعمروا الجزائر بل رسموا حدودها»، جريدة الخبر.

2012/06/01، <http://www.elkhabar.com/ar/>

<sup>3</sup> - شكيب بن حفري، «الأتراك لم يستعمروا الجزائر بل رسموا حدودها»، جريدة الخبر.

2012/06/01، <http://www.elkhabar.com/ar/>

صورة الماضي وتشويه الواقع التاريخي حتى يصبح متماشيا ومصالح الاستعمار (...)  
فالوجود العثماني بالجزائر في نظر المساهمة الفرنسية كان بمثابة العامل الذي  
حال دون اكتساب الجزائر مقومات الدولة القومية وعاق تطور النظم الاجتماعية  
والاقتصادية، وذلك ليخلوا إلى مقارنته بالحضور الفرنسي فالحكم التركي في هذه  
المقارنة غير العادلة كان يقوم على الاستبداد ويتصف بالظلم والعدوان، بينما  
الحضور الفرنسي كان حسب استنتاجهم أقرب إلى العمل الحضاري منه إلى  
التدخل الاستعماري.

#### ثانيا/ أنصار فكرة الاحتلال العثماني للجزائر:

تستند المقاربة التاريخية التي تبناها شيخ المؤرخين الجزائريين الراحل أبو القاسم  
سعد الله الذي أنطلق من التساؤلات التاريخية القائلة، هل جاء العثمانيون إلى  
الجزائر غازين أم منقذين ؟ وهل وجودهم خيرا وبركة على البلاد وأهلها أو شرا  
ونقمة عليها ؟ وهل كانت الجزائر في عهدهم مستقلة أم تابعة ؟ إلى غير ذلك من  
التساؤلات التي مازالت لم تنته ولا نتوقع أنها ستنتهي ذات يوم. وقد ساعد على  
تعميق هذه التساؤلات وتشعبها ما أثاره الفرنسيون من مقارنات بين أنواع  
الاستعمار التي تعاقبت على الجزائر، فهذه في نظرهم لم تكن في يوم من الأيام  
"أمة" أو حتى "شعبا" يمارس حريته ويتحكم في مصيره وإنما هي أرض مفتوحة  
تتعاقب عليها الدول الغالبة من الفينيقيين و الرومان إلى الترك و الفرنسيين<sup>4</sup>.

---

<sup>4</sup> \_ بلقاسم باباسي، «الأترك لم يستعمروا الجزائر بل رسموا حدودها»، جريدة الخبر،

بالإضافة الى اعتماده على مضمون الرسالة المترجمة من التركية الى اللغة العربية من قبل الدكتور أرجمند كوران في كتابه السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر 1827-1847 التي تكشف عن مواقف تاريخية مازال غامضة عند المختصين من ذلك معارضة الباب العالي لظهور شخصية عربية في الجزائر كالأمير عبد القادر وعرقلة التفاهم بين الأوروبيين فرنسا لأنه مناف لمصلحة الدولة العثمانية، ومن المفهوم أن الدولة العثمانية كانت تميل الى الحاج أحمد باي قسنطينة الذي كان يعلن في صراحة أنه يحكم ويقاوم باسم السلطان.<sup>5</sup> ويخلص الأستاذ أبو القاسم سعد الله في معظم كتاباته التاريخية أن طبيعة التواجد العثماني بالجزائر "غزوا واستعمارا واستبدادا شرقيا" لا يختلف عن مراحل الاستعمار السابقة من الرومان الى الأسبان مروراً بالوندال والبيزنطيين حجتهم في ذلك تهميش وإبعاد أبناء الجزائر عن دواليب الحكم من العرب والأمازيغ وحتى الكراغلة الذين حاولوا اقتسام السلطة والقضاء على نظام الحكم المنغلقي ماعدا الرئيس حميدو الذي بلغ أسمى الرتب في البحرية الجزائرية، فضلا عن موقف السلطة العثمانية الذي لم يتجاوز حدود إرسال وفد دبلوماسي الى العاصمة باريس لتقديم احتجاج السلطان العثماني على الحملة العسكرية الفرنسية وتأمين خروج العائلات التركية من مدينة الجزائر.

يقول الدكتور أبو القاسم سعد الله: "إن الجزائر حظها سيئ لأنها شهدت دخول "أعلاج متتركين"، فعانى منهم الشعب الجزائري جهلة لا يعرفون حتى القراءة

---

<sup>5</sup> - ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر - العهد العثماني- المرجع السابق الذكر، ص

والكتابة، كما كانوا مغامرين لا فائدة لهم من الحكم إلا جمع المال والتسلط، ثم أنهم كانوا يحكمون الجزائريين بيد من حديد ويسلبونهم أموالهم وثرواتهم عن طريق الضرائب والرشي والهدايا"

بينما يتذكر الإعلامي في جريدة الخبر والمهتم بالدراسات التاريخية حميد عبد القادر<sup>6</sup> وهو يقرأ موقف عالم الجمعية توفيق المدني من الأتراك وملك الجزائر سليم التومي ذلك النقاش الذي جرى في مطلع الثمانينيات بين محفوظ قداش (المؤرخ) ومولود قاسم نايت بلقاسم (صانع الأيديولوجية) بخصوص طبيعة الوجود التواجد العثماني في الجزائر حيث دافع محفوظ قداش عن الفكرة القائلة بأن العثمانيين استولوا على السلطة في الجزائر، بينما رأى مولود قاسم عكس ذلك تماما (...) ويضيف أن الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم أفضى لمقريه معترف أن عزوج استولى على السلطة بعد اغتيال سليم التومي، واعترف كذلك أن وجودهم في الجزائر كان وجودا دخيلا، لكنه يرفض التصريح بذلك علنا، ففي حال الاعتراف بهذه الحقيقة التاريخية، فذلك يعني أن الفرنسيين جاؤوا لكي يخلصوا الجزائريين فعلا من "استعمار الدولة العثمانية" كما يدعون، فطرح القضية بمناورة وراح يدافع عن طرح يعارض الطرح الفرنسي، ففضل الحديث من زاوية أيديولوجية تعبر عن توجهات السلطة التي كان يمثلها<sup>7</sup>.

<sup>6</sup> - شكيب بن حفري، «الأتراك لم يستعمروا الجزائر بل رسموا حدودها»، المرجع السابق الذكر

<sup>7</sup> - أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر المعاصر، ج 1، (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر و

التوزيع، 1976)، ص ص 9-10

عموماً أن الحديث عن "الاستعمار العثماني للجزائر" يعدّ بمثابة ابتعاد عن الحقيقة التاريخية، و التأكيد عن صفة الفتح الإسلامي هو انتقاص من الذاكرة التاريخية على رأي الدكتور شكيب بن حفري خلال ندوة "الخبر"، الذي طرح السؤال التالي: "من أي مصادر نقرأ الذاكرة التاريخية الجزائرية؟". الكتابات الإسبانية أم الفرنسية أم الرحالة الإنجليز؟. وهي مصادر لا تخدم الذاكرة الجزائرية ولا النقاش الذي يدور حالياً بخصوص الحقبة العثمانية.

## 2/ موقف السلطنة العثمانية من احتلال فرنسا للجزائر:

### أولاً / محاولة الدولة العثمانية استرداد الجزائر سلمياً

بعد أن خسرت الدولة العثمانية قواتها البحرية بهجوم الأسطولين الانجليزي والفرنسي عليها في معركة نافارين في 20 نوفمبر 1827، ودخولهما الحرب مع روسيا بعد ذلك بقليل، لم تدع لها مجالاً للاهتمام بالقضية الجزائرية، ولم تستفد فرنسا من وضعيتها الدولة العثمانية الحرجة هاته، حيث أرسلت جيشاً للشرق مؤلفاً من ثلاثين ألفاً للاستيلاء على شبه جزيرة مورا ولهذا السبب اضطرت فرنسا أن تمدد حصارها لعدة سنوات على الجزائر بل وقامت بمحاولات عدة للتفاهم مع حسين باشا ولكن بدون جدوى، كما فشلت الدبلوماسية الفرنسية في إقناع والي مصر محمد علي باشا في القيام بالحملة التأديبية على الجزائر.<sup>8</sup>

بعد ذلك كلف طاهر باشا المبعوث الشخصي للسلطان العثماني بإدارة وحل النزاع القائم بين حاكم الجزائر الداوي حسين والدولة الفرنسية لكنه فشل في دخول

<sup>8</sup> \_ المرجع نفسه ، ص 339

مدينة الجزائر بسبب الحصار البحري المفروض عليها وتواطؤ باي تونس مع السفير الفرنسي لتسهيل دخول الطاهر باشا عبر التراب التونسي حتى أحتل الجيش الفرنسي مدينة الجزائر .

ومع ذلك، فإن الباب العالي في ذلك العهد العvisب لم يتوان في الإعلان رسميا بإعادة الجزائر للدولة العثمانية بدليل ما جاء في دفتر التوجيهات على شكل جدول : "ولما كانت ولاية الجزائر موعودا بردها لطرف الدولة العلية عندما طلبناها، فسينظر بمقتضاه عند التنظيم"<sup>9</sup>.

وفي 18 ديسمبر 1834 تقابل السفير العثماني مع وزير الخارجية الفرنسي و على أثر فتح رشيد باي موضوع الجزائر، لم يرغب الأميرال دي ريني في إثارة الموضوع (...)  
أعلمه رشيد باي بأنه مكلف بالتباحث لتأمين إعادة الجزائر للدولة العثمانية"

#### ثانيا / أولا / محاولة الدولة العثمانية استرداد الجزائر بالقوة

لقد فهم بشكل قطعي إن استرداد الجزائر من فرنسا بالمباحثات السياسية فقط غير ممكن، وعليه أقدم الباب العالي في ربيع 1835 على محاولة جريئة في سبيل حل قضايا شمال إفريقيا بإرسال قوة بحرية الى طرابلس الغرب (...). كانت الدولة العلية قد اقتربت من البلاد الجزائرية باستيلائها على طرابلس الغرب، وأصبح الباب العالي قادرا على التفكير في التدخل العسكري بهذه البلاد كما يستطيع أن

---

<sup>9</sup> - أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1، ( الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1998 ) .

## عبد المالك زغبة :التواجد العثماني بالجزائر 1518-1830 بين أطروحة الفتح و فكرة الاستعمار

يجرب ربط ولاية تونس، الفاصلة بين ليبيا و الجزائر للإمبراطورية العثمانية بصورة عملية<sup>10</sup>.

غير أن سقوط مدينة قسنطينة عام 1937 ولجوء حاكمها الباي أحمد عند أخواله ببسكرة الذي أدعى أنه الوريث الشرعي للخلافة العثمانية عجل باعتراف الدولة العلية باحتلال فرنسا للجزائر التي خسرتها على المستويين السياسي والعسكري<sup>11</sup>.

الخلاصة : إن الفصل في طبيعة التواجد العثماني في الجزائر بين أطروحة الفتح وفكرة الاستعمار قضية تاريخية معقدة، البحث فيها يزيد من وهن النسيج الاجتماعي للمجتمع الجزائري ولا يخدم المصالح الاقتصادية للدولة الجزائرية التي تسعى الى تقوية العلاقات مع الجمهورية التركية، رغم الموقف السلبي للدولة العثمانية من الاحتلال الفرنسي للجزائر الذي كانت تمليه شيخوخة الدولة العلية في ظل تصاعد القوى الأوروبية بعد الثورة الصناعية.

---

<sup>10</sup> \_ حميد عبد القادر، «ما يجوز لمولود قاسم ولا يجوز لتوفيق المدني»، <http://www.elkhabar.com/ar> ،

2011/01/12

<sup>11</sup> \_ أرجمند كوران ، السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر 1827-1847 تر عبد الجليل التميمي (ط2، تونس :الشركة التونسية لفنون الطبع ، 1974 )، ص 26.

المراجع المعتمدة:

أولا/ الكتب

- (1)-ناصر الدين سعيدوني، دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر – العهد العثماني-،(الجزائر:المؤسسة الوطنية للكتاب 1984).
- 2 -أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر المعاصر، ج 1،(الجزائر:الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1976 ) .
- 3 -أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 1،(الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 199).
- 4 -أرجمند كوران، السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر 1827- 1847 تر عبد الجليل التميمي،( ط 2، تونس:الشركة التونسية لفنون الطبع ، 1974 ).
- ثانيا / المواقع الالكترونية:
- 5 -رضا عمراني ،«الأتراك لم يستعمروا الجزائر بل رسموا حدودها»، جريدة الخبر ، 2012/06/01،<http://www.elkhabar.com/ar/> .
- 6 -شكيب بن حفري،«الأتراك لم يستعمروا الجزائر بل رسموا حدودها»، جريدة الخبر ، 2012/06/01،<http://www.elkhabar.com/ar/> .
- 7 -بلقاسم باباسي ،«الأتراك لم يستعمروا الجزائر بل رسموا حدودها»، جريدة الخبر ، 2012/06/01،<http://www.elkhabar.com/ar/> .
- 8 -حميد عبد القادر،«ما يجوز لمولود قاسم ولا يجوز لتوفيق المدني»، 2012/01/12، <http://www.elkhabar.com/ar>